

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[283] الآيات وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ إِيمَانًا مِنْ رَبِّكَ فَأَخَذْنَا مِنْهُمْ بِالْأَيْمَانِ وَكَفَّ رُسُلَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُتَّقُونَ 42 فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَدًا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 43 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَا مِنْهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ 44 فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 45

التفسير مصير الذين لا يعتبرون: تواصل هذه الآيات توجيه الكلام للضالين والمشركين، ويتخذ القرآن فيها طريقاً آخر لا يقاطعهم وذلك بأن ينقلهم إلى القرون السالفة والأزمان الماضية، يشرح لهم حال الأمم الضالة والظالمة والمشركة، ويبين لهم كيف أُتيحت لها جميع عوامل التربية والتهديب والوعى، غير أن جماعاً منهم لم يلقوا بالا إلى أي من تلك العوامل، ولم يعتبروا بما حاق بهم من (بأساء) و(ضراء) (1) (ولقد أرسلنا إلى أمم _____ 1 - "البأساء" الشدة والمكروه، وتطلق على الحرب أيضاً، وكذلك القحط والجفاف والفقر، أمّا "الضراء" فأكثر ما تعني العذاب الروحي، كآلهم والغم والإكتئاب والجهل، أو الآلام الناشئة عن الأمراض أو عن فقدان مال أو مقام، ولعل الاختلاف بين معني اللفظتين ناشئة عن أن "البأساء" تشير إلى المكروه الخارجي و"الضراء" تشير إلى المكروه الداخلي، النفسي أو الروحي، وعلى هذا تكون "البأساء" من عوامل إيجاد "الضراء"، فتأمل بدقّة!